مشروع جديد

في الإحياء الحضاري

(ص ٧-١٠)

لا يشك أحدٌ أن «الإحياء» الحضاري أهمّ مسؤولية يتحمّلها العاملون في الساحة الإسلامية.

الإحياء الحضاري يضع أمام الأمة مسؤولياتها الكبرى ومثلَها الأعلى الحقّ، ويوجهها نحو معرفة ربّها معرفة حقيقية لا سطحية.. ونحو معرفة ما عندها من إمكانات وطاقات.. وبذلك يعيد إليها الثقة بنفسها والإيمان بقدرتها على مواجهة التحديات واجتياز العقبات.. ويفجّر في نفسها الطاقات الخلاّقة البنّاءة.

كل ما نعانيه من مظاهر التخلّف يجب دراسته في إطار تخلّفنا الحضاري، وجميع ما نتطلّع إليه من عودة إلى الساحة العالمية ينبغي أن يكون في إطار الإحياء.. إحياء النفوس المهزوزة المنهزمة التي لا تثق بربها ولا بنفسها.

المشاريع التي تحاول أن تساهم في معالجة هذا الجانب من مشاكل حياتنا أو ذاك، وتحاول أن تسدّ هذه الثغرة أو تلك كثيرة..

هذه طبيعة ثقافتنا الإسلامية التي تجعل من كل مسلم راعيًا ومسؤولاً عن رعيته، وتجعله يحمل مهمّة رفع العَوَز، ورأب الصدع، ورتق الفتق. ومن هنا جاءت المشاريع

العامة المنفعة، واتسعت ظاهرة الوقف..

غير أنّ المهم هو توجيه هذا الاندفاع الإنساني الإسلامي نحو تحقيق الحاجات الحاسمة للأمة، آخذة بنظر الاعتبار الأولويات في تلك الحاجات.

هذا هو الذي يدعونا إلى التأكيد على ضرورة توعية الأمة على حاجتنا الحياتية إلى الاستنهاض الحضاري.

إذا ساد هذا الوعي تتجه المشاريع الخيرية والأوقاف فيما تتجه إلى الهدف الإحيائي، وتتجه الأفكار والأعمال الفنية والأدبية إلى التخلص من «الفتور» على حدّ تعبير الكواكبي، والى «يقظة الشعور» كما يقول الشابي، وإلى «الإقلاع الحضاري» كما يعبّر مالك بن نبي، وإلى «القيام» كما يعبّر الإمام الخميني، والى «بناء الحضارة الإسلامية على مستوى متطلبات الحياة الراهنة» كما يقول الإمام الخامنئي.

في هذا السياق بدأنا بخطوة نأمل أن تتواصل وهي تأسيس «**مركز أبحاث مستقبل الحضارة الإسلامية**» نهض بهذا المشروع مجموعة من الأساتذة الجامعيين بالتعاون مع وزارة العلوم والأبحاث والتقانة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

هذا المركز وضع خطّة تجري ضمنها دراسات اجتماعية ونفسية وإعلاميّة وتعليمية لبحث ما يرتبط بالهدف الكبير المذكور.. هدف الاستئناف الحضاري.

الدراسات الحضارية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية كثيرة.. ولكنها تسير ـ وفق المنهج الغربي ـ باتجاه تاريخ الحضارة الإسلامية، وكأنها حضارة سادت ثم بادت مثل سائر الحضارات القديمة. لكننا ننطلق في هذا المركز الحديث من فرضية ترى أنّ الحضارة الإسلامية تستطيع أن تعود إلى الحياة إذا تمّ تفعيل العناصر الثقافية المنتجة للحضارة، بل تستطيع أن تقدّم إلى العالم مشروعًا حضاريًا متميّزًا يجمع بين الجانبين الروحي والمادّي من حياة الإنسان.

العالم الإسلامي أمام فرصة كبيرة يجب أن يغتنمها وهي التحرك السريع نحو الاستئناف الحضاري، الفرصة الكبيرة توفّرت بعد أن سقط أكبر مشروع فكري

حضاري غربي متمثلاً بالماركسية، وها نحن نشهد مظاهر تصدّع واضح في مشروع غربي حضاري آخر هو الرأسمالية.

من هنا لابد من التحرك السريع، وأقول السريع لأن الضغوط الدولية التي تواجه العودة الحضارية الإسلامية هائلة.. وعلى رأسها محاولات تعميق الشعور بالإحباط، وعملية الإذلال، وتكريس التخلف والتمزّق والصراع البيني في عالمنا الإسلامي.

لقد رشح بعض ما يشير إلى تلك الضغوط والمحاولات في وثائق «ويكيلكس» وما لم يرشح أعظم.

لا نحتاج إلى هذه الوثائق لنعرف حجم التحدّي، فما يجري على الساحة بارز وواضح ولا يقبل تأويل. موجة قتل علماء العالم الإسلامي، وآخرها ما جرى من قتل عالمين جامعيين من علماء الذرة في طهران، وما تثار من ضجة عالمية حول الملف النووي الإيراني.. هو بعض دلائل هذا الصدّ الحضاري.

لعل توصيات الاستراتيجيين الأمريكيين بشأن ضرورة الوقوف أمام صحوة الأمة الإسلامية بدأت تأخذ طابعًا أكثر جديّة في السنوات الأخيرة.. وهي توصيات تأتي في سياق كل التوصيات التي قدمها خبراء قوى الهيمنة العالمية، من بريطانيا، والاجهزة الصهيونية.. فقد مارست هذه القوى منذ سقوط العالم الإسلامي عمليات مدروسة في إذلال المسلمين، وإفراغهم من هويتهم، وزرع روح الإحباط والهزيمة في نفوسهم، وتعميق حالة الفقر والجهل والمرض في مجتمعاتهم، وفرض الأذلاّء القتلة على حكوماتهم.. ولا تزال هذه العملية متواصلة، لكنها اتخذت طابعًا أكثر جديّة وتطورًا مع تصاعد الوعي في عالمنا الإسلامي.

في سياق هذه العمليات يأتي احتلال فلسطين، والحروب البينية في المنطقة، وتقسيم البلدان، وزرع بؤر الأزمات الحدودية، وإثارة النزاعات القومية والطائفية،

بل وفي هذا السياق يأتي تنظيم المجموعات الإرهابية لتقتل دونما هدف ولتشوه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم.

لو كان العالم الإسلامي حيًا قويًا لما تلاعبت به مخططات قوى الهيمنة العالمية، فالمقصّر الأول في كل ذلك هم المسلمون بضمور روح الحياة فيهم وبفتورهم وبتخليهم عن ممارسة دورهم الحضاري في العالم.

هذا هوالذي يدعونا إلى أن نقول: إن المهمة الأولى لأمتنا هي «الإحياء الحضاري».

بهذا الإحياء نستطيع أن نحافظ على معنويات شبابنا، وبهذا الإحياء نستطيع أن نواجه الأمواج الإعلامية الهوجاء التي تستهدف تفريغنا من هويتنا، وبهذا الإحياء نستطيع أن نعرف ما عندنا من طاقات وكفاءات، وبهذا الإحياء نكون قادرين على استعادة وجودنا على ظهر الأرض سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، وبهذا الإحياء نتجاوز الخلافات الصغيرة والاختلافات المفتعلة، ليتجه تفكيرنا نحو ما يخدم «الإنسان».. كل إنسان على ظهر الأرض.

نطلب من المفكرين والكتّاب والأدباء والمتفننين جميعًا أن يساندوا مشروع الإحياء أنّى كان، ويساندونا في مشروع مستقبل الحضارة الإسلامية والعمل على استئنافها وفق مقتضيات العصر. وبالله التوفيق.